بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

بمناسبة ميلاد الإمام الحسين (ع) في اليوم الثالث من شهر شعبان، أريد أن ألفت أنظاركم إلى ذلك الشيء العظيم الذي استشهد لأجله الإمام الحسين (ع)، أقرأ رواية وأنطلق منها –لا أبني عليها وإنما أستشهد بها للإشارة إلى أمر مهم جدا–: (إن جبرئيل (ع) نزل على محمد (ص) فقال له: يا محمد إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمتك من بعدك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي. فعرج ثم هبط فقال مثل ذلك: يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فعرج جبرئيل (ع) إلى السماء ثم هبط فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فقال: قد رضيت ثم أرسل إلى فاطمة أن الله يبشرني بمولود يولد لك تقتله أمتي من بعدي، فأرسلت إليه لا حاجة لي في مولود مني تقتله أمتك من بعدك، فأرسل إليها أن الله قد جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه إني قد رضيت...)[2]

هذه الحالة طبيعية، فمثلا هل تقبل أن تحصّل على مبلغ من المال ثم يضيع منك؟ لا أحد يقبل بهذا الشيء، ولكن إذا قيل لك بأن هذا المبلغ إذا ضاع منك سوف يعوضك شخص بأكثر منه، بهذه الصورة هل الوضع يتغير أم لا يتغير؟ كل شخص في حياته الطبيعية توجد له حالة بهذا الشكل

الإنسان المؤمن في تعاملاته الطبيعية لا يختلف عن غيره إلا أنه يعتقد بحياة أوسع من الحياة الدنيا فيؤمن بالآخرة، فإذا قيل له أترضى أن تحصّل على مال ثم يضيع منك؟ بطبيعة الحال سيقول لا، ولكن إذا قيل له اصبر إذا ضاع منك هذا المال فالصبر ينميّك وستحصل في الآخرة على ثواب الله عز وجل، هنا يختلف المؤمن عن غير المؤمن، غير المؤمن يعتبر هذا لغوا، ولكن المؤمن موقفه يختلف لأن معرفته بالآخرة هي التي غيرت موقفه، وهذا بشكل طبيعي يحصل في حياة كل الناس

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٢ شعبان ١٤١٧هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) الكافي (١/٤٦٤)

أرى أن الناس يختلفون عن بعضهم من جهتين، الأمر الأول: في مستوى المعرفة، شخص متدين ولكنه نتيجة قلة معرفته يرى شيئا خيرا، وشخص آخر نتيجة معرفته يرى نفس هذا الشيء شرا، إذن الناس يتفاوتون في المعرفة، ومواقفهم كذلك تتأثر بمعرفتهم

والأمر الثاني: في درجة إيمانهم (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[3]، فالناس متفاوتون في العلم ومتدرجون في الإيمان، شخص بمجرد أن عرف شيئا من الدين فموقفه يتغير، وشخص آخر لا يؤثر عليه ما عرفه، وهكذا...

في هذه الرواية –بغض النظر عن صحتها– لو كانت غير فاطمة (ع)، وقيل لها بأن أمة رسول الله (ص) تقتل ولدك، ثم يقال لها أن هذا المقتل مرتبط بأن الله يجعل الإمامة في ذريته، عادة ماذا تقول؟ تقول: لماذا يفعل الله تعالى هذا الشيء! أوليس النبي (ص) قريبا من الله تعالى؟ لماذا لا يدعو الله تبارك وتعالى أن يجعل الإمامة في ذريته من دون أن يصيبه شيء، هذا التوقع متعارف أم لا؟ ولكن فاطمة (ع) كانت تعرف أن مسائل الدين مرتبطة ولا يمكن فصل بعضها عن بعض، هذه من المعرفة، الآن كثير من الناس يتعاملون مع القضايا الدينية بطريقة متجزئة، لا شيء مرتبط بشيء آخر، هذه مشكلة رئيسية وواقعية

أما في القضايا الحياتية المسائل لا تتجزأ لأنها حياة واقعية وكل الناس يعيشونها ويهتمون بها، وإذا كان الشخص لا يعرف –لسبب أو آخر– يلتجئ لشخص آخر يطلب منه أن يعرّفه ويبيّن له ماذا يفعل خطوة بخطوة، أما بالنسبة للدين فكل شيء فيه يُتعامل معه بمعزل عن إطاره، بينما الدين عبارة عن أشياء مترابطة وبذلك يصبح صراطا، الصراط لا يمكن أن يكون قطعا متجزئة وغير مترابطة[4]، هذا لابد أن يحصل

أريد أن أبيّن لكم ما هو الشيء الذي يربط إمامة الحسين (ع) بمقتله، وأنت لابد أن تتدبر وتتعقل وتتعامل مع الدين باهتمام كما تتعامل بالواقع مع الحياة التي تعيشها، فكر ما هو الطريق الصحيح للتعامل مع الدين؟ وليس إنك فقط تستمع لحديث وينتهي الأمر، بل اجعل الدين يمشي معك في حياتك (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً)[5] في كل شيء يجب أن يكون سعيك لمعرفة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) لا فقط تتلفظ بها في الصلاة، بل تكون أنت في

---

[3] (المجادلة: ١١)

[4] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت٢ – النبوة**) فصل (**المقال نوعان**)

[5] (الروم: ٣٠)

الحياة كلها (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[٦] هذا ضروري وبلا هذا لا يكون دينا، أنت بنفسك تعرف أن بغير هذا لا يحصل دين

الإمام الحسين (ع) باستشهاده قد فتح بابا للناس نحو أبيه (ع) وجده (ص) وإلى الله تعالى، وبذل كل شيء يملكه بهذا الطريق، وجّه وجهه كله لربه فاستطاع أن يفتح ذلك الباب الذي أُغلق بين الناس وبين النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع)، فتحـــــه بدمه الطاهر، وبتلك الصورة المؤلمة، أنت يُفترض بأنك تسير على درب الحسين (ع) (هل من ناصر ينصرنا) يُفترض أن تعرف كيف تنصر الإمام (ع) حتى لو كان بقلبك وبنيّتك، بعزمك وبقرارك تسلك هذا الطريق، ولا تكون كأي شخص فقط يأكل وينام ويعيش حياته! أذكر لك أربعة نماذج وأنبهك إلى بعض الأشياء لتستفيد منها كآية للتعرف على الحسين (ع):

النموذج الأول: زيد بن أرقم كان من صحابة رسول الله (ص)، يُذكر أنه كان في مجلس عبيد الله بن زياد (أُتي برأس الحسين (ع)، فكان عبيد بن زياد يضرب بشيء بيده على ثنايا الحسين (ع)، فزيد بن أرقم قال له: ارفع هذا عن ثنايا الحسين (ع) (...طالما رأيت رسول الله (ص) يلثم موضعه)[٧]، هذا يؤثر، هذا موقف، وبطبيعة الحال عبيد الله بن زياد نهره وانتهت القصة، هذا الشخص نحن لا نعلم بالضبط ماذا كان وضعه في ذلك الحين، قد يكون صادقا، لو نفترض بأنه لو لم يسمع أو لو لم يرَ أن النبي (ص) كان يُقبل هذه الثنايا، هل كانت توجد مشكلة؟ ممكن يتأذى مع الأسف لماذا يحصل هكذا؟! المشكلة لأنه فقط ربطه بما أثار في نفسه تلك الصورة التي كان يراها في عهد رسول الله (ص)، انتقال أُفقي قفزة من شيء إلى شيء، هذا نوع من التعامل مع الدين، هذا الأسلوب في التعامل مع الدين أنت تجده كثيرا لكن بحاجة إلى أن الشخص يعرف الهدى والضلال (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه...، ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى)[٨]، وهذا أنت تعرفه إذا تعاملت مع الدين بكل وجودك سوف تجد هذا وتلمسه، وستجد بأن هذا الشخص لا يمكن أن يتعامل مع هذه المسألة إلا بتلك الصورة المطروحة في الرواية لأنه لا يتعامل مع إمامتين –إمامة هدى وإمامة ضلال– وإنما أشياء مجزئة

---

(٦) (الأنعام: ١٦٢– ١٦٣)

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/٣٦٥)

(٨) (الكافي: ٨/٣٩٠)

نموذج ثاني: عمرو بن العاص كان زميل معاوية وكان هو كل شيء تقريبا وهو الذي ساعده وأسنده وخطط له وحسب الظاهر نصحه، ابنه عبد الله اشترك في حرب الصفين في جانب معاوية، يُنقل أن في وقت مر الحسين (ع) على جماعة منهم عبد الله بن عمرو بن العاص فسلم ومشى، هؤلاء ردوا على سلامه، حينما سكتوا رفع عبد الله صوته قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم قال: ليس أحد بأحب من أهل الأرض عند أهل السماء من هذا الماشي وإنه لا يكلمني منذ يوم الصفين إلى الآن، فقيل له: لماذا لا تعتذر منه؟ قال: أعتذر منه لكنه لا يقبل، شخص تطوع قال: أنا أذهب معك فأعتذر، فذهب فألح على الحسين (ع) حتى أذن له، قال (ع): لَمَ قاتلتني وأبي في يوم الصفين؟ قال: كنتُ كثير الصلاة والصيام فشكاني أبي إلى رسول الله (ص) فقال: إن عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار، فقال لي (ص): يا عبد الله صم وأفطر وقم ونم وأطع أباك، فلما كان يوم صفين أقسم علي أبي فخرجت، وأما والله ما اخترطت سيفا، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم)[9] أي أنه بسبب هذه الكلمة من رسول الله (ص) –أطع أباك– لم يقاتل مع أمير المؤمنين (ع)!، أنا لا أدري الرواية صحيحة أو لا، ولكن معروف أن عبد الله كان متدينا حسب الظاهر، فسمع وتمسّك بـــ(أطع أباك) تمسكا شديدا وطبّقه! لأنه يتعامل مع الأمور بطريقة تجزيئية وليس كدين كشجرة

هذا نموذج للتعامل مع الدين كمسائل فقهية بحتة، هذا الشخص نفترض أنه كان إنسانا متدينا في الواقع، ولكن هذا الشخص تنقصه المعرفـــــة، يعرف أن الحسين (ع) هو أحب من في الأرض إلى الله تبارك وتعالى، لكنه فقط لأن رسول الله (ص) هكذا قال، من دون أن يربط الأمور بعضها ببعض ويعرف منها الدين، هذا النموذج تجده كثيرا، وهذا الأسلوب موجود ومنتشر، أما لو كان يعرف الدين الذي كان يعرفه عمار (وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب)[10]، تلك الراية يعرفها عمار كإمامة كطريق كدعوة ضالة

نموذج ثالث: حينما خرج الإمام الحسين (ع) إلى كربلاء، كثير من الناس منعوه، منهم من كانوا يحبونه كثيرا، عبد الله بن عباس قال: (يا بن عم إني أتصبر وَلا أصبر، إني أتخوف عَلَيْك فِي هَذَا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كَانَ أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إِلَيْهِم فلينفوا عدوهم، ثُمَّ أقدم عَلَيْهِم، فإن أبيت إلا أنه تخرج فسر إِلَى اليمن فإن بِهَا حصونا

---

(9) أسد الغابة (٣/٣٤٥)

(10) (وقعة صفين: ٣٢١)

وشعابا، وَهِيَ أرض عريضة طويلة، ولأبيك بِهَا شيعة)[11]، وكذلك عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية وغيرهم، هؤلاء كانوا بكل جهودهم يحاولون أن يمنعوا الإمام الحسين (ع) حتى لا يُقتل، بطبيعة الحال الناس يعرفون أن وجود الحسين (ع) وحياته أفضل من مقتله، قسم من هؤلاء كانوا دينا يقولون نحبك لا تخرج سوف تُقتل، هل هؤلاء كان عندهم معرفة!؟ كان فيهم متدينين متهجدين في الليل، لكن ما هي مشكلتهم؟ ليست لديهم معرفة

(... وإن الدُّنْيَا قَدْ تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، أَلا ترون أن الحق لا يعمل بِهِ، وأن الباطل لا يتناهى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء اللَّه محقا، فإني لا أَرَى الموت إلا شهادة، وَلا الحياة مع الظالمين إلا برما)[12]، كان كثير من هؤلاء يتعجبون من كلام الإمام (ع): أي ظلم؟! لأنه كان هنالك صلاة وصيام وتمسك بالمسائل الشرعية، فقهاء كانوا يفتون ويروون الروايات، إذن لماذا خرج الإمام الحسين (ع)؟ وأنت كذلك تشهد في زيارتك للإمام (أشهد أنك أقمت الصلاة)، هل تعرف كيف أقام الصلاة؟ وهل تعرف كيف تموت الصلاة فلا حياة تكون فيها؟ وكيف حصل ذلك؟ هذه معرفة

لابد أن تسعى للمعرفة فلا تكفي أنه فقط تعرف المسائل الشرعية ثم بعد ذلك تحاول أن تتثقف أكثر لتستطيع أن تتكلم في الدين، لو لم يكن الإمام الحسين (ع) موجودا هل كانت الإمامة تُعرف؟ هل فكرت بذلك، ولو لم يكن الإمام الحسين (ع) قد قُتل بتلك الصورة وبتخطيط إلهي، هل كان من الممكن أن يستطيع –من أراد وجه الله–أن يسمع صرخة أمير المؤمنين (ع)؟ وهل من الممكن أن يتفهم أحد آلام أمير المؤمنين (ع)؟ الآن التعامل المنتشر مع الأئمة (ع) فقط بمعرفة أسمائهم وبعض المعلومات عنهم وحينما يبتلى الشخص بمشكلة يلجأ لهم ويتوسل بهم ويتصور في الآخرة أنهم يشفعون له وهو لا يعرف إمامتهم وطريقتهم

أنت مطالب بأن تعرف الإمام الحسين (ع) (من زار الحسين عارفا بحقه)[13]، فيتوجه إليه (ع) بقلبه: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، زرته وذكرته وأنت عارفا بحقه، منطقك يتغير موقفك يتغير كموقف فاطمة (ع)، هنا أولوياتك واهتماماتك تتغير فتصبح الأمور الدينية هي الأكبر والأهم، والأمور الدنيوية تهبط من عينك

---

[11] تاريخ الطبري (٣٨٣/٥)

[12] تاريخ الطبري (٤٠٣/٥)

[13] وسائل الشيعة (٤٥٢/١٤)

نموذج رابع: زهير بن القين كان كثير الالتزام والتدين، وكان دينا يدافع عن عثمان، الإمام الحسين (ع) نبّهه إلى أشياء، وبمجرد أن عرف جذور المسائل، فماذا حصل؟ (فما لبث أن جاء مستبشرا قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورجله ومتاعه فقُوض وحُمل إلى الحسين عليه السلام ثم قال لامرأته: أنت طالق الحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خيرا)[١٤]، هكذا تكون، شيئان معرفة وإمام، معرفة من دون إمام يتحول إلى وسيلة للضلال والإضلال، الإيمان بلا معرفة تيـــه وتخبّط، أنت مطالب بأن تعرف الإمام لأنه مع الإمام فقط يحصل العلم والإيمان، فتطلبه ولو بدم قلبك (ولو بسفك المهج)[١٥]، والحمد لله رب العالمين

---

(١٤) الإرشاد (٢/٧٣)

(١٥) الكافي (١/٣٥)